القراءة القرآنية النحوية في كتاب السبعة في القراءات عرض وتحليل – قراءات من السور القصار إختياراً

المدرس المساعد حسام جليل عبد الحسين
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف ـ العراق
husamalkufe@gmail.com

The Grammatical Qur'anic Reading of The Seven in The Readings Book: Theory and Analysis، Readings in Selected Short Suras

Assistant lecturer: Hussam Jalil Abdul Hussein
Iraq، General Directorate of Education in Najaf Province

الملخص:

القراءات القرآنية من أهم القضايا التي شغلت بال العلماء العرب ولا سيما في العصور المتاخمة للعصر الإسلامي، وحيث شاع اللحن وبدأت صيحات تدارك القرآن تعلو في سماء همّ العلماء آنذاك ولاسيما في عهد الخلفاء الراشدين وما بعدهم إلى جمعت المصاحف على حين السرعة لتدارك ذلك وحملة القرآن من الناس حينها كانوا على أقسام متعددة كما ذكر ذلك ابن مجاهد (المتوفى: ٣٢٤هـ) في مقدمته، إذ قال إن حملة القرآن الكريم متفاضلون في حمله فمنهم العالم بما يقرأ ومنهم الحافظ من غير اعتناء بالإعراب ومنهم من يعتمد على غيره في ذلك فضلا عن تعرض الحفاظ إلى النسيان بمرور الزمن(١)، ويبدو أن هذا التعدد والخوف منه هو الذي جعل ابن مجاهد وغيره من السابقين له للتأليف في هذا المجال.

أما سبب اختيارنا لهذا الكتاب فقد كان لشهرته مرة ولجمعه القراء السبعة الذين اشتهروا في الأمصار العربية كافة مرة أخرى، وقد قسمت البحث على شكل نقاط تتضمن الكمة المستهدفة في القراءة القرآنية النحوية المخالفة لقراءة حفص عن عاصم، واتبعت المنهج الوصفي في بحثي الممزوج بالتحليل مع اعتمادي على آراء العلماء في النحو والقراءات فضلا عن آراء المفسرين في ذلك.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، القراءة القرآنية النحوية، كتاب السبعة في القراءات، السور القصار، ابن مجاهد، اللوح المحفوظ.

Abstract:-

One of the most important issues that Arab scholars spent much time thinking of is the Qur'anic readings; not only during the period of the Islamic Era, but also after it. For example, when committing grammatical mistake had been widespread, callings of keeping the Qur'an away from it began to rise. Then, during the era of the Rightly Guided Caliphs and during their aftermath, scholars were concerned of collecting the Qur'ans to avoid any grammatical mistake. In his introduction, ibnMujahid (Deceased: 324 A.H.) says that the memorizers of the Holy Qur'an were of several types. They were different in the way they memorized the Qur'an; some of them were scholars in readings, memorizers with no attention to parsing, and some of them were dependent on others in all of that. More importantly, memorizers are exposed to oblivion in the passage of time. Seemingly, these differences made ibnMujahid and others write in this domain. The study adopts 'the seven in the readings book' for two reasons: first for its fame, and second for its collection of the seven readers who were well known in all of the Arab countries. This paper has been divided into points. Each of those points involves the target word in the grammatical Qur'anic reading which is considered a violation reading in accords with Hafs from Asim. The study is descriptively and analytically carried out depending on scholars' opinion of grammar and readings in addition to exegetes' opinions.

Key words: Holy Qur'an, The grammatical Qur'anic reading, the seven in the readings book, short suras, IbnMujahid, the preserved tablet.

ألفاظ القراءات القرآنية النحوية.

سأبدأ بعرض الألفاظ القرآنية محور البحث على شكل نقاط كما أشرت إلى ذلك في مدخل البحث وهي كما يأتي:

١- (يوم).

وردت كلمة (يوم) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[٢]، وقد ذكر ابن مجاهد أن هذه الكلمة قرئت بقراءتين، قال: ((قَرَأَ ابْنَ كثير وَأَبُو عَمْرو {يَوْم} بِضَم الْمِيم وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {يَوْم} بِفَتْح الْمِيم))[٣]، ويبدو أن الخلاف في حركة (يوم) بين الرسم القرآني بحسب قراءة حفص عن عاصم التي وردت بالنصب ومن قرأها بالضم كما نقله ابن مجاهد.

والاختلاف يعود إلى تفسير كلمة (يوم) بما سبقها من آية قرآنية، قال تعالى: (ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)[٤]،وجاءت آية البحث بعدها؛ فمن ((قرأ بالرفع (يَوْمُ) فعلى أن اليوم صفة...المعنى: هو يومُ لا تملك، وأما من قرأ (يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ) فله وجهان:

أحدهما: أنه بُنيَ على الفتح، وهو في موضع الرفع؛ لأنه أضيف إلى غير متمكن، ولو كان مضافًا إلى اسم متمكن كان مرفوعًا، كقوله: (يَوْمُ الدِّين) فأما قوله: (لاَ تَمْلِكُ)، فغير متمكن، ومثله قول الشاعر:

لم يمنع الشُّربَ منها غيرَ أَنْ نطقَتْ حمامةٌ في غصونٍ ذاتِ أوقال

ثمار المقل، الواحد (وَقَل) ،فبنى (غير) على الفتح لما أضافها إلى (أنْ)، وموضعها رفع...،وجائز أن ينصب (يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ) بمعنى: هذه الأشياء المذكورة تكون يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا، فنصب (يَوْمَ) ها هنا بنزع الخافض، أراد: تكون في يَوْمِ لا تملك نفس لنفس شيئا، وقال ابن الأنباري: هو منصوب على المحل؛ كأنه قال: في يوم لا تملك))[٥]، والفارق واضح في توجيه الإعراب مما يؤدي إلى اختلاف المعنى بلا شك على الرغم من تهوين الموضوع عند الموضوع وكأن المعنى واحد إذا قلنا بالصفة أو في حالة ذاك اليوم، وإذا عدنا إلى الآيات مرة أخرى سنرى أن الآية السابقة لآية البحث جاءت مكررة لمرتين في سبقتها قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[٦]؛ وهذا التكرار في الإبهام المفزع بـ(ما) وبعدها بـ(ثم) يوحي بأنه ((تَكْرِيرٌ لِلتَّهْوِيلِ، تَكْرِيراً يُؤْذِنُ بِزِيَادَتِه، أَي تجاوزه حَدّ الْوَصْف وَالتَّعْبِير

فَهُوَ مِنَ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ، وَقُرِنَ هَذَا بِحَرْفِ ثُمَّ الَّذِي شَأْنُهُ إِذَا عَطَفَ جُمْلَةً عَلَى أُخْرَى أَنْ يُفِيدَ التَّرَاخِيَ الرُّتْبِيَّ، أَيْ تَبَاعُدُ الرُّتْبَةِ فِي الْغَرَضِ الْمَسُوقِ لَهُ الْكَلَامُ، وَهِيَ فِي هَذَا الْمَقَامِ رُتْبَةُ الْعَظَمَةِ وَالتَّهْوِيلِ، فَالتَّرَاخِي فِيهَا هُوَ الزِّيَادَةُ))[٧] وهذه الزيادة تقتضي خبرا يناسب ذلك لا صفة من صفات المتبوع [٨] الذي قدم ذلك التهويل المفزع لنكتفي حينها بذكر بعض منها فقط !.

وقد مال بعض المفسرين إلى الرفع في هذه الكلمة ومنهم الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) إذ رأى أن الرفع في الكلمة ((أَفْصَحُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَوْمَ مُضَافٌ إِلَى يَفْعَلُ، وَالْعَرَبُ إِذَا أَضَافَتِ الْيَوْمَ إِلَى تَفْعَلُ أَوْ يَفْعَلُ أَوْ أَفْعَلُ رَفَعُوهُ فَقَالُوا: هَذَا يَوْمُ أَفْعَلُ كَذَا، وَإِذَا أَضَافَتْهُ إِلَى فِعْلٍ مَاضٍ نَصَبُوهُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ[٩]:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وَقُلْتُ أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيبُ وَازِعُ))

إذا نرى أنه مال إلى الرفع وما ذكره من شواهد فصيحة يعزز قوله، وهو أرجح من حيث الفصاحة وملاءمة المعنى من حيث الاخبار قد يفهم منه التوسع بالتهويل والإبهام ليأتي ملائما للتكرار السابق.

وإذا ذهبنا مع الرأي الذي يرجح النصب سنقع في مشكلة العامل - من حيث التأويل الأقرب لا البعيد الذي يراد به تقدير فعل ثم فاعل لتكون (يوم) مفعولا به - الذي يرى بعضهم أن العامل في الصفة هو العامل بالموصوف نفسه [١٠] وهنا الأمر بعيد من حيث التأثير فضلا عما قدمنا لذلك.

٢- (محفوظ).

الاختلاف في قراءة كلمة (محفوظ) التي وردت في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[١١]،كان بين الخفض والرفع، قال ابن مجاهد: ((قَرَأَ نَافع وَحده {مَحْفُوظ} رفعا،وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {مَحْفُوظ} خفضا))[١٢]،ومن قرأها بالخفض أراد أنه ((اللوح المحفوظ أي المحفوظ من أن يزاد فيه أو ينقص منه مما رسمه الله فيه، وقرأ نافع وابن محيصن فِي (لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) بالرفع على أنه نعت لقرآن أي بل هو قرآن مجيد محفوظ من أن يغير ويزاد فيه أو ينقص منه قد حفظه الله جلّ وعزّ من هذه الأشياء، فقد صحّت القراءة أيضا بالرفع ولهذا

قال كثير من العلماء: من زعم أن القرآن قد بقي شيء منه فهو رادّ على الله كافر بذلك، والنص الذي لا اختلاف فيه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) فنظير هذا "محفوظ" بالرفع))[١٣]،فالرفع عند أغلب العلماء صحيح؛ لأنه لا يضر بالمعنى من حيث أن الصفة باقية ثابتة للقرآن لا لغيره.

وما يمكن أن نقف عنده هو أن الصفة تعود (للوح) في الخفض حتى إذا عادت في النهاية إلى القرآن لكن الإضافة بحسب اتفاق العلماء تدل على الاختصاص سواء أكانت بتقدير حرف أم بغيره [١٤]، وإذا أنعمنا النظر في معنى اللوح بحسب المنقول الروائي عن النبي الأكرم ﷺ سنرى أنه يعني (((فِي لَوحٍ مَحفُوظٍ) عن التغيير و التبديل و النقصان و الزيادة، و قال مجاهد: المحفوظ أم الكتاب، و قيل: انه اللوح المحفوظ ألذي كتب اللّه جميع ما كان و يكون فيه- ذكره أنس بن مالك- أي كأنه بما ضمن اللّه من حفظه في لوح محفوظ))[١٥]، وقال أحد المفسرين المحدثين إن اللوح: ((المحفوظ شيء أخبرنا الله به، وأنه أودعه كتابه، ولكن لم يعرّفنا حقيقته، فعلينا أن نؤمن به، وليس علينا أن نبحث فيما وراء ذلك مما لم يأت به خبر من المعصوم صلوات الله عليه وسلامه))[١٦]، فإضافة المحفوظ في ظل هذه الدلالات أنسب من التقدير والإضافة إلى القرآن الكريم.

ومن ناحية النحو رأى بعضهم أن الرفع ((فيه تقديم الصفة المركبة على المفردة وهو خلاف الأصل والمعنى عليه قيل محفوظ بعد التنزيل من التغيير والتبديل والزيادة والنقص كما قال سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)))[١٧]، ويبدو أن التوجيه النحوي في الخفض أكثر قربا من الاستعمال العربي فضلا عن قربه من المقصود الدلالي الخاص بالآية المباركة ولاسيما في معنى (اللوح).

ولابد من الاتكاء على السياق حتى في التحليلات النحوية ولا نجعله آخر الكيل؛ لأن بعض الترجيحات النحوية ولاسيما الخاصة بالإعراب تهفو إلى ما يعزز ثقة الحركة ويلبس الكلمة ثوب الثبات أمام التوجيهات المتنوعة.

٣- (حمّالة).

وردت كلمة (حمالة) منصوبة في قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[١٨].

وذكر ابن مجاهد في السبعة أنها قرئت بين الرفع والنصب، قال: ((قَرَأَ عَاصِم وَحده {حمالَة الْحَطب} نصبا وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {حمالَة الْحَطب} رفعا))[١٩]، وتعليل عاصم للنصب من باب الذم والشتم؛ لأنهم قالوا إن من ((نصب {حَمَّالَةَ} فعلى القطع؛ لأنها نكرة؛ الانفصال مقدر فيها، أو على الشتم والذم))[٢٠]، وقد ذكر ذلك سيبويه(المتوفى: ١٨٠هـ) في باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه فقال: ((تقول: أتاني زيدٌ الفاسقَ الخبيث: لم يرد أن يكرره ولا يعرفك شيئا تُنكره، ولكنه شتمه بذلك، وبلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصبا: " وامرأتُه حمّالةَ الحطب " لم يجعل الحمالة خبرا للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكرُ حمّالةَ الحطب، شتما لها، وإن كان فعلاً لا يُستعمل إظهاره))[٢١]؛ فالظاهرة واردة في الاستعمال النحوي، ويمكن أن يكون التقدير بـ(أعني) عند إرادة المدح أو الذم وغير ذلك، قالوا: ((وَإِنَّمَا ينصب الْمَدْح والذم والترحم والاختصاص على إِضْمَار أَعنِي ويفسر على ذَلِك لله وَلِرَسُولِهِ وَالْحَمْد وَالشُّكْر))[٢٢] وفي الحالتين - الرفع والنصب - لأصحابهما مسوّغ في ذلك، وقيل سبب النصب يكون ((على الحال من ((امرأته)) إذا جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير))[٢٣] أما من قرأها بالرفع فلسببين: ((أحدهما العطف على ما في " سَيُصْلَى "، المعنى سيصلى هو وامرأته ويكون (حَمَّالَةُ الْحَطَبِ) نعتا لها ومن نصب فعلى الذم، والمعنى: أعني (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)، ويجوز رفع (وَامْرَأَتُهُ) على الابتداء، و (حَمَّالَةُ) من نعتها، ويكون الخبر:(فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ).خبر الابتداء))[٢٤]،وفي ظل ما عرض نرى أن العودة إلى الدلالة المرجوة من الفرع والنصب هل تتلاءم مع الحدث أو هي على العكس من ذلك؟ وذلك أن الرفع فيها وجه مقبول وله أدلة ناهضة إلى حد معين.

وقد جاء في الروايات أن امرأة أبي لهب ((كانت تحمل الشوك و العضاة فتطرحه في طريق رسول الله ص إذا خرج إلى الصلاة ليعقره عن ابن عباس و في رواية الضحاك قال الربيع بن أنس كانت تبث و تنشر الشوك على طريق الرسول فيطأه كما يطأ أحدكم الحرير و قيل أنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة و توقد نارها بالتهييج كما توقد النار الحطب فسمى النميمة حطبا عن ابن عباس في رواية أخرى و قتادة و مجاهد و عكرمة و السدي قالت العرب فلان يحطب على فلان إذا كان يغري))[٢٥]، فالكلمة بحسب هذا التأويل تدل على الحال ولابد من نصبها وورد ما يشبه ذلك أيضا للدلالة على الحال (((حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) أنها أم جميل وأنها كانت تمشي بالنميمة، قال الشاعر:

مِـن البِـيضِ لم تُصْـطَدْ علـى ظَهْـرِ لأْمَـةٍ ولم تَمْـشِ بـينَ الحَـيِّ بالحَطَـبِ الرَّطْـبِ

أي بالنميم))[٢٦]؛ فهذه الإشارات تجعلنا نميل إلى من قرأ بالنصب لمناسبتها لسياقها من حيث المروي مرة وللآيات السابقة لها مرة أخرى.

٤ـ (**فتنفعه**).

قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾[٢٧]، وقد ذكر ابن مجاهد أن كلمة (فتنفعه) قرئت بحركتين مختلفتين أيضاً، قال:((قَرَأَ ابْن كثير وَنَافع وَأَبُو عَمْرو وَحَمْزَة والكسائى وأحسب ابْن عَامر {فتنفعه الذكرى} رفعا، وَقَرَأَ عَاصِم وَحده {فتنفعه الذكرى} نصبا))[٢٨]، واللافت للنظر في هذه القراءة أن عاصما وحده قرأها بالنصب ((فمن نصب فعلى جواب (لَعَلَّ) ومن رفع فعلى العطف على (يَزَّكَّى)))[٢٩]، وهذه القراءة الخاصة بالنصب هي ((السُّلَمِيِّ وَزِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَلَى جَوَابِ لَعَلَّ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُوجَبٍ، كقوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (غافر: ٣٦) ثم قال: ﴿فَاطَّلَعَ﴾ (الصافات: ٥٥)))[٣٠]؛ فتخريج النصب عند النحويين وغيرهم من باب الجواب للعلّ، ولا أظنه يحتاج إلى هذا البعد في التأويل ولاسيما إذا عدنا إلى معاني الحروف وعملها.

فالحرف (لعل) له أربعة وجوه محصورة بين (الشك والإيجاب والاستفهام والترجي) فضلا عن عملها في الاسم النصب وفي الخبر الرفع [٣١]وسياق الآية المباركة من أول آية إلى آية البحث لا يحمل هذه المعاني الأربعة، حتى إذا تنزّلنا وقبلنا معنى الاستفهام بسؤال النبي الأكرم ﷺ عن هذا الاعمى الذي قد ((يَعْتَبِرُ فَيَنْفَعُهُ الِاعْتِبَارُ وِالِاتِّعَاظُ))[٣٢]،فلِمَ عبست في وجهه؟!.

وهذا بعيد من حيث عمل الأداة التي اكتفت باسمها وخبرها في الآية السابقة،هذا من باب، ومن باب آخر خاص بدلالة لوم النبي ﷺ - إن صح المقال- التي تحمل تلك القسوم والشدة في الخطاب المخبوء تحت رداء الاستفهام.

أما إذا عدنا إلى دلالة حرف(الفاء) سنرى أن الرماني (المتوفى: ٣٨٤هـ) قد جعل لها ثلاثة معانٍ أهمها ما ينسجم مع موضوعنا هو الجواب الذي يكون على ((ضربين: أحدهما أن ينتصب الفعل بعدها على إضمار أن، وذلك في ستة مواضع: الثاني، أن تستأنف الكلام

بعدها، فأما المواضع الستة التي ينتصب الفعل فيها بإضمار أن فهي: الاستفهام، والأمر،والنهي والتمني، والجحد، والعرض))[٣٣]، فإذا أنعمنا النظر بعملها سنرى أنها لا تحتاج إلى أن تكون جوابا للعل؛ فهي وافية التأثير بما بعدها بإضمار (أن)؛ لذلك قراءة النصب أولى وأدل من غيرها.

٥ ـ (المجيد).

هذه الكلمة وردت في آيات السور القصار أيضا وتحديدا في قوله تعالى من سورة البروج، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[٣٤]، وقد نقل ابن مجاهد أنها قرئت بقراءتين فقال: ((قَرَأَ ابْن كثير وَنَافع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر وَعَاصِم {ذُو الْعَرْش الْمجِيد} رفعا، وَقَرَأَ حَمْزَة والكسائى {ذُو الْعَرْش الْمجِيد} خفضا، وَكَذَلِكَ الْمفضل عَن عَاصِم {الْمجِيد} خفضا))[٣٥]،فهي بين الخفض والرفع كما في قراءة عاصم التي بين أيدينا.

ومن أراد الرفع للكلمة فستكون ((صفة الله تَعَالَى، وَذَلِكَ بِمَعْنى الْعُلُوّ وَالْعَظَمَة، وَأما قِرَاءَة الْخَفْض فَفِيهِ أَقْوَال: أَحدهمَا: أَنه صفة الْعَرْش، وَمعنى الْمجِيد فِيهِ العالي الرفيع، وَالْقَوْل الثَّانِي: أَنه صفة الله تَعَالَى إِلَّا أَنه خفض بالجوار، وَالْقَوْل الثَّالِث: أَنه رَاجع إِلَى قَوْله: {إِن بَطش ربك} كَأَنَّهُ قَالَ: إِن بَطش رَبك الْمجِيد لشديد، أوردهُ النّحاس، وَعَن بَعضهم: أَن جَوَاب الْقسم قَوْله: {إِن بَطش رَبك لشديد} وَهُوَ قَول الْأَكْثَرين))[٣٦]، وقد تحمل الكلمة حكم الخفض وهو وارد في كلام العرب قال الخليل (المتوفى: ١٧٠هـ) في الجمل: ((قَوْلهم مَرَرْت بِرَجُل عَجُوز أمه ومررت بِرَجُل طَالِق امْرَأَته خفضت عجوزا وَلَيْسَ من نعت الرجل إِلَّا أَنه لما كَانَ من نعت الْأُم خفضته على الْقرب والجوار وَكَذَلِكَ تَقول مَرَرْت بِامْرَأَة شيخ أَبوهَا خفضت شَيخا وَهُوَ نعت الْأَب إِلَّا أَنه لما جاور امْرَأَة خفضت وَرفع أَبَاهَا على الِابْتِدَاء))[٣٧]، فالخفض على الجوار من لغات العرب، لكنه سيصطدم بالدلالة من وراء ذلك الخفض الذي كان بسبب الإضافة التي تخرج لمعنى الاختصاص في الحقيقة أو المجاز [٣٨] وهنا ستقيد السياق الذي يسمح بتعدد الأخبار؛ لأنهم قالوا: ((يجوز أن يكون للمبتدأ الواحد خبران وأكثرُ من ذلك؛ كما قد يكون له أوصافٌ متعدّدةٌ، فتقول: "هذا حُلْوٌ حامِضٌ" تريد أنّه قد جمع بين الطعْمَيْن، كأنّك قلت: "هذا مُرٌّ"، فالخبرُ وإن كان

متعدّداً من جهة اللفظ، فهو غيرُ متعدّد من جهة المعنى، لأن المراد أنه جامع للطعمَيْن، وهو خبرٌ واحدٌ))[٣٩]، وعلى الرغم من عدم اتفاقنا مع قولهم إن التعدد في اللفظ لا بالمعنى؛ لأنه يصح في مواضع معينة ولا يصح في مواضع أُخَر تنبئ بتعدد المعنى واللفظ معا،كقولنا: هذا طويلٌ أبيضٌ باسمُ الثغر، فالألفاظ تعددت والمعاني تعددت أيضا، لكننا نتفق مع ذلك التعدد من حيث المبدأ الذي يوحي بتعدد الأنباء عن الشيء الواحد.

فضلا عن ذلك أن تحديد ذلك المجد لخالق السماوات والأرض سيسحبنا إلى جادة الضلال- أعاذنا الله وإياكم منها -، فلا نظن أن الأمر هيّن بتغيير الحركة فقط؛ لأنهم ذكروا ((أن عرشه لم يزَل مُذْ أُوجِد مستعلياً على الماءِ، وقوله تعالى: {ذُو العرش المجيد}، {رَفِيعُ الدرجات ذُو العرش} وما يجرى مجراه، قيل: هو إِشارة إِلى مملكته وسلطانه لا إِلى مقرّ له، تعالى الله عن ذلك))[٤٠]، ودلالة الخفض ستجبرنا على ذلك المعنى من حيث نعلم أو لا نعلم بذلك.

وهذا الاختيار الخاص بقراءة حفص عن عاصم في هذا الموضوع أو بشكل عام - القرآن الذي بين أيدينا - في ظل الأبحاث المقدمة يجعلنا نشعر باطمئنان إلى حد كبير أنها أفضل القراءات؛ لذلك قال عنها السيد محمد الصدر في منة المنان: ((لا شكّ أنّنا في المصحف نقرأ القراءة المشهورة للقرآن الكريم، وهي قراءة حفص عن عاصم، ومن الواضح عند المسلمين أنّها ليست القراءة الوحيدة، أو التي يمكننا أن نعدّها هي الوحي المنزل نفسه، بل القراءات أكثر من ذلك بكثير...وحسب فهمي: أنَّ ذلك الشخص الذي اختار قراءة حفص عن عاصم وجعلها مشهورة - وهو شخص مجهول على أيِّ حال- لم يقصّر في أمره، بل كان دقيق النظر باعتبار أنَّ هذه القراءة بالرغم ممّا فيها من بعض النقاط، تعدُّ فعلاً أفضل القراءات وأفصحها، لو نظرناها بمنظارٍ عامٍ))[٤١]، وهذا الاعتراف بالقيمة العليا لهذه القراءة على الرغم من وجود بعض القناط فيها التي تحتاج إلى وقفة لكنها ستبقى الأفضل من بين القراءات كلها.

الخاتمة:

بعد هذه السياحة السريعة بين آيات القرآن الكريم والقراءات القرآنية في السور يمكن أن نتوقف عند النتائج الآتية:

١- بعض القراءات يمكن أن يؤخذ بتوجيهها إذا خضعت لمعنى السياق فضلا عن الموروث اللغوي العربي .

٢- السياق اللغوي بأنواعه المتمثل بهيمنة الدلالة وانسجامها مع ألفاظ الآيات القرآنية لايمكن أن يغفل عنه في الترجيح أو الرفض.

٣-قراءة حفص عن عاصم قراءة معتبرة لا تغفل عن المعاني النحوية الكلية ولاسيما في ظل ما عرضنا من قراءات موازية لها في هذا البحث المختصر.

٤- وجود بعض النقاط التي تستحق التوقف عندها في قراءة حفص عن عاصم لا يعني أنها خاوية، بل هي على العكس من ذلك.

٥- بعض القراءات الموازية لقراءة حفص عن عاصم على الرغم من وجود أصل لغوي لها في الاستعمال العربي لكنها لا ترقى إلى المعنى الشامل المتكئ على السياق.

هوامش البحث

(١) ظ: السبعة في القراءات: ابن مجاهد:٤٥.
(٢)سورة الانفطار: ١٩.
(٣)السبعة في القراءات: ابن مجاهد: ٦٧٤.
(٤)سورة الانفطار: ١٨.
(٥)معاني القراءات: الأزهري: ١٢٨ - ١٢٩.
(٦)سورة الانفطار: ١٨.
(٧)التحرير والتنوير: ج٣٠: ١٨٤.
(٨)ظ: معاني النحو: فاضل السامرائي: ج٣: ١٨١.
(٩)جامع البيان عن تأويل آي القرآن:ج٢٤: ١٨٤.
(١٠)ظ: أسرار العربية: أبو البركات الأنباري: ٢٠٥.

(١١)سورة البروج: ٢١ – ٢٢.
(١٢)السبعة في القراءات: ٦٧٨.
(١٣)إعراب القرآن: النحاس: ج١٢٢:٥.
(١٤)ظ: و معاني النحو:ج٣: ١١٨،و علل النحو: ابن الوراق:٣٠٤.
(١٥)التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ج١٠: ٣٢٢.
(١٦)تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي:ج٣٠: ١٠٨.
(١٧)روح المعاني: الآلوسي: ج١٥: ٣٠٤.
(١٨)سورة المسد: ٣ –٤.
(١٩)السبعة في القراءات: ٧٠٠.
(٢٠)النكت في القرآن الكريم: أبو الحسن المجاشعي: ٥٧٨، و،ظ: القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن: ج٢: ٣١٠.
(٢١)الكتاب: سيبويه: ج٢: ٧٠.
(٢٢)الجمل في النحو: الخليل ابن أحمد الفراهيدي: ٩٠.
(٢٣)اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل:ج٢٠: ٥٥٤.
(٢٤)معاني القرآن وإعرابه: الزجاج: ج٣٧٥:٥.
(٢٥)مجمع البيان في تفسير القرآن:الطبرسي:ج٨٥٢:١٠، و.ظ: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): أبو محمد البغوي: ج٨: ٥٨٣.
(٢٦)معاني القرآن وإعرابه: الزجاج: ج٣٧٦:٥.
(٢٧)سورة عبس: ١- ٢- ٣ –٤.
(٢٨)السبعة في القراءات:٦٧٢.
(٢٩)معاني القرآن وإعرابه: الزجاج: ج٥: ٢٨٣،و.ظ: جوامع الجامع: ج٣: ٧٢٩.
(٣٠) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله شمس الدين القرطبي: ج١٩: ٢١٤.
(٣١)حروف المعاني والصفات: الزجاج: ٣٠.
(٣٢)جامع البيان: الطبري: ج٢٤: ١٠٦.
(٣٣)معاني الحروف: الرماني: ٤٣.
(٣٤)سورة البروج:١٢ –١٣ –١٤ –١٥– ١٦.
(٣٥)السبعة في القراءات: ٦٧٨.
(٣٦)تفسير السمعاني: أبو مظفر السمعاني: ج٢٠٠:٦.
(٣٧)الجمل: الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١٩٤ – ١٩٥.
(٣٨) ظ: شرح ابن الناظم: بدر بن مالك:٢٧٢.

(٣٩)شرح المفصل: ابن يعيش: ج١: ٢٤٩.
(٤٠)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي:ج٤: ٤٣.
(٤١)منة المنان في الدفاع عن القرآن: آية الله محمد صادق الصدر:ج١: ٤٩ – ٥٠.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

١- أسرار العربية: أبو البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ): تحقيق: د محمد راضي مدكور، وائل محمود سعد عبد الباري، مراجعة: د فيصل الحفيان،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية – الكويت، (د.ط)،١٤٣٦هـ -٢٠١٦م.

٢- إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحّاس (ت٣٨٨هـ)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت -لبنان،ط٢، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

٤- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي،ط١، ١٤٠٩هـ.

٥- تفسير التحرير والتنوير: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس،(د.ط)،١٩٨٤م.

٦- تفسير القرآن (تفسير السمعاني): أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم،الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية،ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٧- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م.

٨- تفسير جوامع الجامع: المفسر الكبير الشيخ الفضل بن حسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة،ط١،١٤٢١هـ.

٩- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٠- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة،ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١١- الجمل في النحو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د. فخر الدين قباوة الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ١٩٩٥م

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، ١٤١٥ هـ.

١٣- السبعة في القراءات: أبو بكر، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر،ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٤- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٥- شرح المفصل: يعيش بن علي بن يعيش المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

١٦- علل النحو المؤلف: محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١هـ) المحقق: محمود جاسم محمد الدرويش الناشر: مكتبة الرشد - الرياض / السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

١٧- القراءات وأثرها في علوم العربية المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ) الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١٨- كتاب حروف المعاني: أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٤٠هـ)،حققه وقدم له: الدكتور علي توفيق الحمد،مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان،ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٩- كتاب سيبويه: أبو بشر بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٠- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)،تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ)،تحقيق: لجنة من العلماء الأخصائيين،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط:١ (١٩٩٥م).

٢٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٣- معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي(ت ٣٨٤هـ)،حققه وخرّج شواهده وعلق عليه وقدم له وترجم للرماني وأرخ لعصره: الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي،دار الشرق للنشر والتوزيع،ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٤- معاني القراءات للأزهري المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

٢٥- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)،تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت،ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢٦- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي،الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٧- منة المنان في الدفاع عن القرآن: آية الله العظمى السيد الشهيد محمد الصدر، تحقيق: مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر،مطبعة البصائر،لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٢٨- النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه): علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (ت ٤٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل،دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.